ملخص لمحاضرات السداسي الثاني

في مقياس المقاربات الكمية والكيفية

سنة أولى ماستر اتصال وعلاقات عامة

إعداد: أ.د وليدة حدادي

المقاربة الكيفية في بحوث الإعلام:

أولا- المقاربة الكيفية.. المفهوم والاهمية

على الرغم من أهمية استخدام المنهج الكيفي "qualitative method في الدراسات الاعلامية إلى انه يعرف عزوفا لدى الباحثين في الدراسات المعاصرة، ويرجع ذلك إلى جملة من الأسباب، هي:

- عدم الإلمام بكيفية إجراء المناهج الكيفية وطريقتها.
- الخوف من عدم تحقق الموضوعية في البحث الكيفي.
- الاعتقاد بأن المناهج الكمية هي الكفيلة بتحقيق العلمية.
- مناهج البحث الكيفي تتطلب من الباحث زمن بحثي أطول وجهد فكري اكبر من حيث الفهم كمرحلة أولى ثم التأويل كمرحلة ثانية.

وهي نوع من البحوث يصل إلى النتائج بطرق غير إحصائية، وتفترض وجود حقائق وظواهر يتم بناءها من خلال وجهات نظر الأفراد والجماعات المشاركة في البحث، وتحتوي طرق بحثية مختلفة، منها البحوث الاثنوغرافية، ودراسة الحالة، وبحوث الملاحظة بالمشاركة، وتصل هذه البحوث إلى نتائج بطرق غير إحصائية أو كمية، ومن هنا فالبحث الكيفي يستند على البعد الذاتي للخبرة الإنسانية التي هي دائمة التغيير وفقا لمعطيات الزمان والمكان، كما يهدف إلى فهم الظاهرة موضوع الدراسة وحصر معنى الأقوال التي تم جمعها أو السلوكيات التي تمت ملاحظتها من خلال الملاحظة بالمشاركة والمقابلة وسير الحياة و غيرها.

وانطلاقا من اتسام البحث الكيفي بالتأمل النقدي للباحث في فعله ومشاعره أو في حقل البحث بوصفه عنصرا أساسيا من المعرفة، فإن أهمية البحث الكيفي تكمن في إدراكه للبحث، بوصفه عملية فكرية دائمة حول الوجود الإنساني الذي لا يمكن فهمه ولا تأويله أو تحليله من خلال جمع البيانات وتقنيات البحث الكمية، بل من خلال فهم علاقة البحث بالحياة والباحث

بالمبحوث، كعملية دينامية وحيوية، تسهم في فهم صحيح لحياة الإنسان وهذا ما يسميه (باشلار) بالتحليل النفسي للمعرفة، أي معرفة نفسية الباحث وذاتيته، ويعتبر البحث عملية استكشافية مفتوحة لا منغلقة، ومن خلال الملاحظة بالمشاركة والمقابلة الموجهة في سير الحياة والوصف الإثنوغرافي للحياة اليومية وللعمليات وفي المؤسسات نحصل غالبا على صورة واضحة وجلية، من منظور المبحوثين مثلا: المرضى المزمنين، المسنين، المقيمين بالمصحات العقلية، وتتطلب:

- تموقع الباحث أثناء البحث بالنسبة للمبحوث.
- إستراتيجية الكتابة.
- التوصيف الثري بحيث يجب أن يكون التوصيف ثري دقيق لجميع المضامين المعنية بالدراسة
- توضيح المسالك النظرية والإيديولوجية المنتهجة من طرف الباحث.
- استعمال عدة درجات و طبقات في التأويل.
- الرجوع إلي المشاركين في البحث.
- القدرة الفكرية للباحث.
- نوعية التفاعل بين الباحث والمبحوث.
- مدة الدراسة الميدانية.
- تحديد درجة ذاتية الباحث في التأويل.
- اللجوء إلي التأكد عن طريق التدقيق في البيانات والمعطيات الميدانية.
- مدى التنوع في العينة المختارة.
- طبيعة الدليل اليومي الذي يستعمله الباحث في إجرائه وقيادته للبحث.

ثانيا- ـ تطور الاهتمام بالبحوث الكيفية في الدراسات الإعلامية:

ظهرت بعض الدراسات في هذا الجانب منذ نهاية القرن التاسع عشر كالدراسة عن الفلاح البولندي لـ "وليم توماس" و"فلوران زنانيكي"، التي تناولا فيها الوضع الاجتماعي والاقتصادي للجماعات العرقية المهاجرة من بولندا إلى أمريكا، فهي تتناول مسألة الهجرة ومشاكل المهاجرين والهجرة والعرقية.

ومنذ ثلاثينيات القرن العشرين كان البحث الكمي الأساس العملي للحقيقة العلمية، الذي يعتمد على الموضوعية في جمع البيانات، فقد ذهب كل من لازر سفيلد "Lazarsfeld" واستوفر "Stouffer" إلى أن المناهج الكيفية لا تعدو أن تكون خطوة استكشافية في مجال البحث الاجتماعي والإعلامي، وأن التقدم الذي يمكن أن يحققه علم الاجتماع في مجال المعرفة الإنسانية ينهض أساسا على استخدام المنهج الكمي وتطويره، بحيث نستطيع أن نختبر الفروض بطريقة تجريبية دقيقة مثلما يفعل العلماء الطبيعيون في بحوثهم، مما جعل مناهج وأدوات التحليل الكيفي تتسم بالتردد وعدم الوضوح أو التكامل المنهجي.

ومنذ نهاية السبعينات وبداية الثمانينات من القرن العشرين ظهر اتجاه قوي نحو البحث عن طرق جديدة لدراسة الظواهر الإعلامية، وقد قام هذا الاتجاه على أساس أن الباحثين في العلوم الاجتماعية قد درجوا على إتباع الطريقة العلمية المستمدة من البحث في العلوم الطبيعية وذلك لوصف الظواهر الاجتماعية والتنبؤ بسلوكها، وأن هذه الطريقة العلمية في العلوم الطبيعية قد لا تصلح في كل الأحوال للتعامل مع الظواهر الاجتماعية ودراستها، ومن ثم فإنه يجب البحث عن طرق أو مداخل جديدة لفهم ودراسة هذه الظواهر.

فالنزعة الوضعية كانت نتيجتها أن اختفى الإنسان من العلوم الإنسانية، أو بالأحرى تلاشت حريته وإرادته ووجدانه، وهذا ما وعاه بوضوح الفيلسوف الفرنسي "ميشيل فوكو" حين قال: "إن الإنسان الذي ولد في القرن الثامن عشر-يعني بذلك ولادته في مجال البحث الإنساني العلمي- لم يتم العثور عليه بعد.

ومنذ بداية التسعينيات من القرن الماضي رفض العديد من الباحثين أطروحة التضاد بين المقاربتين، وبدأوا في الدفاع عن الموقف البراغماتي، الذي يتبنى الطرح القائل أن كلا المقاربتين الكمية والكيفية مهمة جدا وعلينا المزاوجة بينهما في نفس البحث، وأصبح الآن التوجه الجديد في البحوث الاجتماعية والسلوكية والإعلامية يدعو إلى تبني التعدد المنهجي أو مناهج البحث المختلط.

ثالثا ـ حالات استخدام المدخل الكيفي في البحث الإعلامي:

يتم اللجوء إلى البحوث الكيفية عندما تكون هناك معرفة محدودة أو بسيطة عن مجال أو موضوع معين، وعندما يشك الباحث في المعرفة المتاحة في هذا المجال أو النظريات

المتوفرة عنه، أو أن هذه النظريات يراها الباحث على أنها متحيزة ، وعندما يكون سؤال البحث موجهاً أو يسعى لفهم أو وصف ظاهرة معينة أو حدث معين لا يعرف الباحث الكثير عنه أو تتوفر عنه معرفة محدودة، ومن هذا المنظور فإن جزء اً كبيراً من البحوث الاستكشافية (الاستطلاعية) يعد نوعاً من البحوث الكيفية ، ذلك أن البحث الاستكشافي يتم استخدامه عندما لا تتوفر معلومات كافية عن الظاهرة أو المشكلة محل البحث خاصة في حالة عدم توفر دراسات سابقة من قبل حول المشكلة محل الدراسة.

ونظراً لأن البحث الكيفي يعتمد في حالات كثيرة على دراسة الوثائق وتحليلها، فإن بعض البحوث التاريخية تعتبر نوعاً من البحوث الكيفية ، حيث يعتمد البحث التاريخي في حالات كثيرة على دراسة الوثائق وتحليلها وجمع الحقائق منها وتركيبها ثم تفسيرها من أجل فهم الماضي (الأحداث الماضية) ومحاولة فهم الحاضر على ضوء الأحداث والتطورات الماضية.

رابعا- تحليل وتفسير نتائج البحث الكيفي:

إن ممارسة البحث الكيفي يتطلب اكتساب العديد من المعارف والمهارات البحثية كإجراء المقابلة، وتحليل ودراسة الحالة والملاحظة، كما يتطلب كفاءة في تحليل البيانات النوعية التي يتم جمعها، فبعد جمع معلومات من مصادر وبطرق يختارها الباحث حسب طبيعة البيانات التي يريد الحصول عليها، وطبيعة الظاهرة السلوكية التي يستهدفها بالدراسة، تأتي مرحلة تحليل البيانات الكيفية "L'analyse des données qualitatives "، وهي المرحلة الحاسمة في الكيفي، والتي تمنحه ميزته عن البحث الكمي (الإحصائي)، الذي يعتمد التحليل فيه بالأساس على الأساليب، بينما التحليل في البحث الكيفي أكثر عمقا في دراسة الظاهرة موضوع البحث، فيعمل الباحث على فهمه، وتذوقه للحالة في خبرته، وما يمتلكه من تراث علمي، وفي ضوء ملابسات الظاهرة التي يدرسها، فتجعل من البحث ميدانا خصبا للإبداع.

وتمر عملية تحليل البيانات الكيفية الخام بعدة مراحل، هي:

- تنظيم البيانات الكيفية
- تشفير وتصنيف البيانات الكيفية

- مراجعة وتصفية الأصناف
- تحديد الأنساق والأنماط
- صياغة النتائج
- التحقق من النتائج

خامسا- عناصر الاختلاف بين البحوث الكيفية والكمية:

1- من حيث الغرض من البحث:

تأتي أولويات البحوث الكيفية في تحقيق فهم أفضل للموضوعات والظواهر، أما البحوث الكمية فإن أولويات أغراضها تتمثل في الوصف والتفسير والتعميم على أشخاص أو مواقف.

2- طبيعة العملية البحثية:

تتصف البحوث الكيفية بالمرونة إلى حد كبير، في حين تلتزم الدراسات الكمية بخطوط أو قواعد مسبقة مقننة بعناية.

3- طرق جمع البيانات:

تعمل البحوث الكيفية بموجب افتراض أن الواقع أو الموضوع المراد بحثه لا تتم تجزئته في متغيرات مجردة يمكن قياسها، وإنما يمكن وصفه وشرحه بتفاصيله الدقيقة ضمن سياق عام من خلال الاندماج فيه ومعايشته وجمع معلومات عنه في الظروف أو البيئة الواقعية، الوضع يختلف إلى حد كبير في البحوث الكمية، حيث يحدد أدوات مقننة لقياس تلك المتغيرات كميا.

نظام العينات:

يتم الاعتماد في البحوث الكيفية على عينات صغيرة أو حالات قليلة لدراستها دراسة متعمقة، وفي البحوث الكمية يتم تطبيق الأدوات على عينات كبيرة تمثل المجتمع الأصلي، ولا يمكن في ظل البحوث الكيفية اختيار عينات كبيرة الحجم حيث يكون عدد المفردات التي يجرى عليها التحليل قليلاً، ولا يتم اختيار عينات عشوائية في مثل هذه الحالات.

عرض وتحليل البيانات:

في البحوث الكيفية تحلل البيانات وتعرض بحيث تصف الاتجاه العام أو السائد بتفصيلاته المتعمقة (وليس بمؤشراته وخصائصه الكمية)، أما في البحوث الكمية يتم تحليل البيانات بناء على خطة إحصائية بما يتيح معطيات كمية كثيرة.

كيفية التعبير عن البيانات:

يكون التركيز في البحوث الكيفية على التعمق في دراسة الموضوع، على خلاف البحوث الكمية.

دور الباحث: في البحوث الكمية يعزل الباحث نفسه عن الظاهرة المدروسة، في حين أن البحوث الكيفية تتضح فيها شخصية الباحث.

أدوات القياس: يتم تدريب مجموعة من الباحثين على جمع البيانات، وهو ما لا يتم في الدراسات الكيفية حيث يكون الباحث ذاته بمثابة أداة للقياس.